

سباق في شرق الفرات بين الحرب التركية والصفقة الروسية

قرار الانسحاب الاميركي من الاراضي السورية الذي اعلنه الرئيس دونالد ترامب في نهاية العام 2018، زاد في تعقيدات الوضع في سوريا والمنطقة، في ظل الغموض المحيط بآليات تطبيق هذا الانسحاب، وعدم وجود جدول زمني له



الكراد بين احضان الاسد وانياب اردوغان.



تركيا في حاجة الى موافقة موسكو وفتح المجال الجوي السوري امامها.

النصرة وغلبت عليها خيار التسوية مع تركيا (اتفاق سوتشي)، هي في صدد ايقاف العملية التركية ضد مناطق الاكراد وتغلب عليها خيار التسوية لمصلحة النظام السوري، مع الاخذ في الاعتبار المصالح الامنية التركية.

اما الاسباب التي تدفع موسكو الى تغليب مسار "التسوية - الصفقة" على "خيار الحسم العسكري التركي"، فهي:

1- الربط الذي تقيمه موسكو بين مصر شرق الفرات ومصر ادلب لدفع انقرة الى تنفيذ تعهداتها في اتفاق سوتشي، خصوصا ما يتعلق باقامة المنطقة الامنة بعمق 15 - 20 كلم، وعزل الارهابيين واعادة طريق حلب - اللاذقية وحلب - حماه الى دمشق. موسكو، ومعها طهران ودمشق، غير راضية عن طريقة تعايط اردوغان مع الاتفاق الخاص بادلب بكثير من المراوغة، ورفع سقف المناورة بعد عودة الحرارة الى العلاقات الاميركية - التركية. من جهة يحاول اردوغان اطالة احتلاله للمناطق التي يسيطر عليها في شمال سوريا عبر جملة اجراءات مثل فرض تعليم اللغة التركية وفرض التداول بالليرة التركية. ومن جهة ثانية لا توجد رغبة فعلية لديه في تنفيذ الاتفاق وانما بدافع باستمرار عن ابقاء سيطرة المجموعات المسلحة، ويساهم في ترسخ هذه السيطرة على محافظة ادلب. ومن جهة ثالثة هناك تماد تركي غير مبرر في التحذير من الخطر الكردي على الامن القومي التركي لتبرير الدخول العسكري وتوسيع الحزام الامني، ولذلك تم تبليغ تركيا ان استمرار مفاوضاتها في تنفيذ الاتفاق حول ادلب سيضطر الجيش السوري الى القيام بعملية عسكرية لتحرير ادلب.

2- سعي روسيا الى ان تكون ضامنة للحل السوري والترتيبات المستقبلية، والى لعب دور الحكم للوصول الى ترتيبات مقبولة من الاتراك والاكرد وتصيب في مصلحة النظام السوري، وذلك من خلال ترتيبات عسكرية وادارية بينها تسليم الحدود السورية الى دمشق لقطع الطريق على

ضغوطا من دول عربية وغربية لا ترغب في رؤية تمدد وتعظيم النفوذ التركي في سوريا، ويواجه اعاقه من الولايات المتحدة التي ترهن تنفيذ قرار انسحابها بحصولها على ضمانات وتعهدات تركية في شأن سلامة وحماية الاكراد. لكن العقبة الاساسية تأتي من جهة روسيا التي لا تعطي تركيا الضوء الاخضر لمهاجمة شرق الفرات. ومن دون الموافقة الروسية لا يمكن لتركيا ان تشن عملية الحسم العسكري لانها تحتاج الى سلاح الطيران، والى ان تفتح روسيا المجال الجوي امامها. لكن روسيا، كما اوقفت عملية عسكرية للجيش السوري مدعوما من ايران ضد ادلب وجبهة

في سوريا، وتُعد العدة لعملية عسكرية واسعة شرق الفرات فور اتمام الانسحاب الاميركي من المناطق الخاضعة لسيطرة الوحدات الكردية. لا يبدو ان الطريق مفتوحة الى مثل هذه العملية، وان تركيا ستكون المستفيدة الاولى من الانسحاب الاميركي. ولذلك فان الترتيب الذي تبديه انقرة هو اقرب الى الترقب والتوجس، والحديث الجاري عن تأجيل العملية التركية يعكس واقع ان هذه العملية دونها عقبات، في موازاة تقدم التسوية او الصفقة السياسية التي تديرها وتضع ترتيباتها روسيا.

المشروع التركي الطموح في سوريا يواجه

جدول زمنيا لسحب القوات الاميركية من شمال شرق سوريا، وان الولايات المتحدة ستحرص على ان لا تتضرر اسرائيل وسائر حلفائها (في اشارة الى المسلحين الاكراد) من قرار انسحاب القوات الاميركية من سوريا، موضحا ان انسحاب الجيش الاميركي من شمال شرق سوريا مشروط بهزيمة فلول تنظيم داعش، وضمان تركيا سلامة المقاتلين الاكراد المتحالفين مع الولايات المتحدة.

جاءت زيارة بولتون الى تركيا في اجواء متوترة، على خلفية تصريحات اميركية في شأن ضرورة تقديم انقرة ضمانات لحماية الحلفاء الاكراد في سوريا. وابتدت انقرة غضبها من تصريحات بولتون، ورهن فيها الانسحاب الاميركي من سوريا بالتوصل الى اتفاق مع تركيا، لحماية الاكراد وعدم قيامها باي عملية عسكرية في شمال سوريا من دون تنسيق مع الولايات المتحدة. كما اغضبها تهديد الرئيس الاميركي بتدمير اقتصادها اذا هاجمت الوحدات الكردية. تعتبر انقرة ان الانسحاب الاميركي لا يعني تقويضا تلقائيا للمشروع الانفصالي او الفيدرالي في الشمال السوري، فالانسحاب لا يعني انتفاء الدور والتأثير، فضلا عن دور قوات التحالف الدولي الموجودة وسيناريوهات التفاهم مع النظام، وامكانيات عودة تلك الميليشيات الى الحوض الروسي. ثمة خشية تركية حقيقية من ان يحاول النظام وحلفاؤه ملء فراغ واشنطن في مناطق شرق الفرات بمفردهم وتركها خارج المعادلة.

رغم كل المواقف والمؤشرات التي توحى بان تركيا متحفزة لملء الفراغ الاميركي

ايران وانها وجودها العسكري في سوريا. هذا المناخ من البلبلة والاعتراض، دفع ادارة ترامب الى اصدار مواقف مطمئنة في شأن قرار الانسحاب، والى القيام بحركة ديبلوماسية مكثفة في اتجاه الشرق الاوسط لتسويق هذا القرار وشرحه وتضمينه التطمينات والتوضيحات اللازمة. في هذا الاطار جاءت جولة وزير الخارجية مايك بومبيو في المنطقة، والتي هدفت خصوصا الى طمأنة حلفاء واشنطن بانها لا تزال منخرطة في سوريا، وبأن التحالف في مواجهة ايران ما زال فعالا وسيستمر في اطار استراتيجية اميركية تعطي الاولوية لمواجهة مشروع ايران الاقليمي انطلاقا من سوريا.

في موازاة جولة بومبيو، جاءت زيارة مستشار الامن القومي جون بولتون الى اسرائيل وتركيا، حيث حرص في الاولى على تطمين المسؤولين الاسرائيليين الى ان لا

هذا القرار ادخل منطقة شرق الفرات في سباق محموم بين المعارك والتسويات، وبين مشروعين: المشروع التركي للسيطرة عسكريا على هذه المنطقة واسقاط الكيان الكردي الحدودي بكل اشكاله، والمشروع الروسي لتمكين النظام السوري من استعادة شرق سوريا عبر تفاهمات وحوارات بين دمشق والاكرد ترعاها وتديرها موسكو، مع مراعاة المصالح التركية.

عندما باغت الرئيس دونالد ترامب الجميع باعلانه انسحاب اميركا "شاملا وسريعا" من سوريا، احدث هذا الاعلان بلبلة واسعة داخل الولايات المتحدة وخارجها، ولدى حلفائها وخصومها في آن. شعر كبار المسؤولين في البنتاغون والخارجية بحجم التداعيات المترتبة على هذا القرار الذي يعطي انتصارا لروسيا وايران والنظام السوري وداعش، وينعكس سلبا على صدقية الولايات المتحدة التي كانت التزمت البقاء في سوريا الى حين القضاء النهائي على داعش، والتوصل الى حل سياسي ينهي الحرب، وتعهدت حماية حلفائها الاكراد، فيما الانسحاب الاميركي يعرضهم لخطر هجمات تركية ضدهم. في الاجمال، اميركا تخاطر بفقدان ثقة حلفائها في المنطقة، الاكراد في الدرجة الاولى، والخليجين في الدرجة الثانية الذين يرون ان المجال صار مفتوحا لايران وتركيا لزيادة نفوذهما في سوريا، والاوروبيين ايضا الذين ساءهم الانسحاب الاميركي غير المنسق معهم وغير المنسجم مع رؤيتهم لمستقبل سوريا، والاسرائيليين كذلك الذين راوا ان الانسحاب الاميركي يتعارض مع مصالحهم وخطتهم الهادفة الى احتواء

الحركة الاميركية نحو الشرق الاوسط لتطمين الحلفاء وتفعيل المواجهة مع ايران

تركيا تخشى قيام النظام السوري مدعوما من روسيا بملء الفراغ الاميركي

معا لشن هجوم على عفرين وادلب، اي اعادة عقارب الساعة الى الوراء واستحضار التعاون السابق بين دمشق وحزب العمال الكردستاني بزعامة عبد الله اوجلان ضد تركيا.

لتركيا هاجس اساسي وهو الاكراد. في العام 2015 وعندما بدأت القوات الكردية باقامة حزام سيطرة خاص بها في المناطق الحدودية الملاصقة لتركيا، نفذت انقرة غزوا لاجزاء من تركيا بهدف تفكيك المناطق الخاضعة لسيطرة الاكراد. ثم تقاطع بين انقرة ودمشق ضد الاكراد لا يحجب ولا يلغي اصطدام المصالح على الارض الذي يترجم في توجه الجيشين التركي والسوري كل في اتجاه: الاترك هدفهم شرق الفرات وانتزاعها من يد الاكراد، والنظام السوري هدفه ادلب وانتزاعها من يد النصر والاسلاميين، والقيام بما تلكأت تركيا عن القيام به. وربما يصل اردوغان الى نقطة يفضل فيها سيطرة دمشق على مناطق الاكراد اذا لم ينجح هو في السيطرة عليها وتطويعها. في وقت ترشح معلومات كثيرة تتداولها اوساط المعارضة السورية تتحدث عن صفقة تركية - روسية ثمنا للتوسع التركي الجديد شرق الفرات، وتتضمن السماح للجيش السوري بالعودة الى بعض المناطق التي ستوسع فيها القوات التركية، على ان تكون القوات بقيادة روسية.



لتركيا هم اساسي هو الاكراد.

انفصالية. والواضح ان دمشق تستند الى المكاسب العسكرية المحققة، والدعم الروسي جوا والايروني برا، والانسحاب الاميري. ثم رهان خفي هو القدرة على تطويع المنطقة الشرقية باختراقات نابذة من تحالفات سابقة مع عشائر عربية او تنظيمات كردية. من هنا، جاء اقتراح كردي جديد لاحداث اختراق: التعاون

بدا ان دمشق، من خلال محادثات جرت بين مسؤولين سوريين وقوى كردية برعاية روسية، تتحدث عن خطوط حمر هي: السيطرة على جميع المعابر الحدودية بما فيها تلك الخاضعة لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية مع العراق وتركيا، ورفع العلم الرسمي على جميع النقاط الحدودية والمؤسسات العامة، وعدم قبول اي خطوة

اكراد سوريا

الدعم من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. في تشرين الثاني 2015، انضمت الى تحالف فصائل كردية وعربية بدعم التحالف الدولي اطلق عليه قوات سوريا الديمقراطية. تعد وحدات حماية الشعب الكردية ضمن قوات سوريا الديمقراطية (قسد) ثانياً القوى المسيطرة على الارض بعد قوات النظام، وتشمل سيطرتها نحو 30% من مساحة البلاد، وتتضمن حقول غاز ونفط مهمة.

في اذار 2016، اعلن الاكراد النظام الفيدرالي في مناطق سيطرتهم التي قسموها لثلاثة اقاليم هي الجزيرة (محافظة الحسكة في شمال شرق سوريا) والفرات (في شمال الوسط وتضم اجزاء من محافظة حلب واخرى من محافظة الرقة) وعفرين (في الشمال الغربي وتقع في محافظة حلب) التي خسروها عام 2018 على وقع هجوم شنته تركيا وفصائل سورية موالية لها.

يشكل الاكراد الموجودون بشكل رئيسي في شمال سوريا نحو 15% من مجموع السكان. معظمهم من المسلمين السنة مع نسبة ضئيلة من غير المسلمين. عندما نشب النزاع في سوريا عام 2011، اتخذ معظم الاكراد موقفا محايدا ولم يخوضوا صدامات مع قوات النظام. في عام 2012، انسحبت قوات النظام السوري تدريجاً من المناطق ذات الغالبية الكردية في شمال سوريا وشمال شرقها، ما مكن الاكراد من تعزيز موقعهم.

في عام 2013، اعلن الاكراد، وعلى رأسهم حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي تعد وحدات حماية الشعب جناحه العسكري، اقامة ادارة ذاتية في مناطق سيطرة الاكراد. وتسلموا المؤسسات في هذه المناطق، واعادوا احياء لغتهم وتراثهم. منذ عام 2014، تحولت الوحدات الكردية الى ابرز القوى المحاربة لتنظيم الدولة الاسلامية (داعش)، وبدأت تلقي



ترامب اقرن قرار انسحاب الجيش الاميري بتطمينات.

المشروع الكردي بكامله غير قابل للتحقيق على ارض الواقع في المنطقة، نتيجة تشابك المصالح الدولية والاقليمية. فضلا عن ذلك، بدا النظام السوري منذ ايلول 2015 يستعيد المناطق التي خسرها واحدة تلو الاخرى، من شرق حلب الى اجزاء مهمة من الرقة ودير الزور والغوطة الشرقية، الى محافظتي درعا والرقة. تضافرت هذه

المشروع الكردي بكامله غير قابل للتحقيق على ارض الواقع في المنطقة، نتيجة تشابك المصالح الدولية والاقليمية. فضلا عن ذلك، بدا النظام السوري منذ ايلول 2015 يستعيد المناطق التي خسرها واحدة تلو الاخرى، من شرق حلب الى اجزاء مهمة من الرقة ودير الزور والغوطة الشرقية، الى محافظتي درعا والرقة. تضافرت هذه

تركيا التي تحاول الحصول على شريط امني حدودي بعمق 20 - 30 كيلومترا، ولا تريد عودة التعاون بين دمشق والاكرد الى ما كان قبل توقيع اتفاق اذنة منتصف العام 1998. تتضمن الترتيبات الروسية المنسقة مع الاميركيين حصول تركيا على ضمانات امنية حدودية، ووجودا رمزيا للدولة السورية على الحدود، ونوعا من انواع الادارة الذاتية المحلية للاكراد، ومحاصرة على الثروات الطبيعية (نفط وغاز وزراعة وسدود)، وقبولا اميركيا لتصور روسيا لتركيبة اللجنة الدستورية وعملها ومرجعيتها لتنفيذ القرار 2254.

اصيب الاكراد بصدمة جديدة بعدما اكتشفوا ان قتالهم الى جانب القوات الاميركية لم يشفع لهم عندما ان اوان الاستحقاقات الكبرى بين الدول. اذ فضلت واشنطن تحالفها مع تركيا على تحالفها مع الاكراد. تاليا بدا العد العكسي لسقوط مشروع الفيدرالية الكردية في سوريا. الى الخيبات المحلية، كان لاختراق تجربة استقلال اقليم كردستان العراق تأثيره على المستقبل السياسي لاکرد سوريا، اذ بدا ان

اهداف العملية التركية

عندما اعلنت القيادة التركية قرارها ونيتها شن عملية عسكرية واسعة في منطقة شرق الفرات، حددت لها هذه الاسباب والمبررات:

- 1- اخراج الميليشيات الكردية من شرق الفرات لانها ذراع محلية لحزب العمال الكردستاني - التركي الارهابي، كما تشكل تهديدا جديا للامن القومي التركي.
- 2- منع التمدد الكردي على طول الحدود الجنوبية التركية مع سوريا، والذي يستهدف الوصول الى المتوسط، وخلق اتصال بري جغرافي بين جميع المناطق.
- 3- احباط الهدف النهائي الرامي الى تأسيس كيان كردي في شمال سوريا، سيؤدي الى تقسيمها، حتى وان بدأ بخطوة الحكم الذاتي او اللامركزية او اي تسمية اخرى.
- 4- توفير الظروف الملائمة لعودة 1,7 مليون مواطن عربي سوري الى مدنهم وقراهم التي هجرتهم منها الميليشيات الكردية الى تركيا، ودمرتها في عملية تطهير عرقي واسعة خلال الاعوام السابقة.